فتـــح خيبر

بقلم : الاستاذ عبد المجيد لطفي

على أثر النكسات التي منيت بها اليهود والضربات الماحقة التي اصابتهم من لدن المسلمين جزاء عملهم الدائب لتقويض الكيان الاسلامي الجديد فلم يدخل اليأس الى قلوبهم بل تركوا قراهم جوار المدينة وتجمعوا في خيبر لان فيها اقوى حصونهم وفيها اجمل واغنى بساتينهم وزروعهم وكرومهم ونخيلهم وفيها تزدحم ابطالهم وهكذا فقد راح هذا التجمع اليهودي في خيبر يكيد للمسلمين ويؤلب عليهم سرا قبائل العرب بما يملئون كف ساداتهم من مـــال ويغرون ابطالهم بالهدايا والعطايا .

وهكذا فقد وجد النبي عليه الصلاة والسلام ان على المسلمين ان يفتحوا حصون خيبر فجهز لذلك حملة من ألف واربعمائة مقاتل وعهد بالراية الى احد كبار الصحابة من المهاجرين بالنظر لكون الامام علي بن ابي طالب (ع) قائد جيش المسلمين كان أرمدا آنذاك . وبالنظر لمناعة الحصن وشدة بأس المدافعين عنه فكانت راية المسلمين تعود بالاخفاق .

حينذاك لم يجد النبي من بد الا أن يستدعي الامام (ع) وينيط به مسؤولية فتح خيبر بعد ان مسح على عينيه وباركه وقال عنه قوله المشهور (كرار غير فرار لايرجع حتى يفتح الله على يديه)

وهكذا توجه الامام علي (ع) الى حصون خيبر فحمل على اليهود الذين أصابهم الزهو بعد ان كشفوا المسلمين عن مواقعهم مرتين . حملة من حملاته المعروفة فتراجعوا من الارض البراح الى أبواب الحصن وتركوا للامام وجنوده فارسهم الاول واشجع شجعانهم وكبير ابطالهم المسمى (مرحب) .

لقد تقدم مرحب مرعدا مزبدا وهو يشق الصفوف وعليه من سلاح الحرب اقواه واثقله وطلب المبارزة . ولم يدم له ذلك الزهو الا قليلا بعد ان وجد نفسه وجها لوجه مع بطل المسلمين الامام علي (ع) فتبادلا القتال وطال بينهما النزال لينتهي بالضربة القاضية ينزلها بطل المسلمين ببطل اليهود واقـوى شجعانهم فيقده الى موضع الحزام ويطرحه أرضا مضرجا بدمه .

والان واليهود وراء حصنهم محتمين بعد ان قتل فارسهم فلابد للمسلمين من فتح هذا الحصن واذلال اليهود في أمنع قلاعهم وهكذا كان .

لقد حفر اليهود حول حصنهم خندقا تعلموه من واقعة الخندق الشهيرة ولكن حين سقط مرحب صريعا بسيف الامام اندفع المسلمون يقودهم الامام نحو الحصن وسواء أكان باب خيبر مغلقا باحكام أم ترك مفتوحا ليرجع منه مرحب عندما يعود منتصرا فلقد كان الهجوم ملحمة تركت سجلا عريضا للبطولة على مسيرة تاريخ الفتح الاسلامي وكان النصر في هذه المعركة عزيزا بل كان من ابلغ الانتصارات لاهمية الموقع الذى كانت فيه حصون خيبر ..

ان القضاء على سلطان اليهود في اقوى معاقلهم وتجريدهم من مصادر قوتهم وثرائهم قد اعطى المسلمين قوة جديدة ضارية صارت فيما بعد ذات شأن وبفتح حصن خيبر ضعفت شوكة الاحلاف التي كانت قائمة مع اليهود ضد المسلمين وصارت كل فئة من المشركين تؤثر السلامة وتخفي العداوة بعد ان كانت تجهر بذلك وتفخر .

بغداد — عبد المجيد لطفي